هل يحمل كل فعل ثلاثي نقيضه في ذاته؟

محمد علي عبد الجليل
جامعة آيكس–مرسيليا

في مقال للصَّحفي السوري الأستاذ نِزار نَيُّوف (المولود عام ١٩٦٢ م) نشرَه على فيسبوك بتاريخ ٢٣ / ٢ / ٢٠٢٠ بعنوان: «العربية في عيدها: ديالكتيك اللغة العربية "الإعجازي" في فعلها الثلاثي الذي لا نظير له في اللغات الأخرى»، طرحَ فرضيةً أو بالأحرى ذَكَّرَ بفرضيةٍ تقول إنَّ كلَّ فعل ثلاثي عربي يمكن اشتقاقُ نقيضِه من حروفه بتغيير ترتيب هذه الحروف.

يبدو أنَّ من الصحيح امتلاكَ الجذرِ اللغوي العربي خصوصيةً تختلف عن الأفعال في اللغات الأوربية. فالجذور اللغوية العربية، على ما يبدو، جذورٌ "إبدالية" (permutatif) و"تركيبية" (affixatif)، بينما الجذور الأوربية تركيبية (affixatif) فقط. «إبدالية» بمعنى أنه يمكننا استخراجُ تراكيبَ [تقاليبَ] ثُلاثيةٍ بتغيير ترتيبِ الحروف. و«تركيبية» بمعنى أنه يمكننا إضافةُ زوائدَ [أحرف الزيادة] على الجذور في أول الجذر أو وسطه أو آخره. ولكن هل يمكن فعلاً اشتقاق الفعل ونقيضه بتغير ترتيب الحروف؟

أعطى السيّد نيوف، لتوضيح فرضيته، بعضَ الأمثلة (حوالي ١٥ فعلاً). فمثلاً، الفعل الثلاثي «ن.هـ.ر» الذي يفيد الانطلاق والحركة من الداخل إلى الخارج يمكن أن نشتقَّ من أحرفه الفعل المُضادّ له وهو «ر.هـ.ن» الذي يفيد الحبس والحركة من الخارج إلى الداخل. بمعنى أنَّ الفعلَين «نَهَرَ» و«رَهَنَ» مؤلَّفان من الأحرف نفسِها ولكنهما متعاكسان دلالياً وفيزيائياً. واستنتجَ من خلال هذه الأمثلة فرضيةً سحبَها على كل جذور الأفعال العربية الثلاثية.

هناك ظاهرة لغوية قريبة هي الأضداد في الألفاظ (antonymes) وهي أن الكلمة الواحدة تدلُّ على مَعنيينِ مُتناقضَينِ (الشيء ونقيضه). فمثلاً، «السَّدَفُ» [أو «الشَّدَفُ»] من الأضداد، وتعني: الضَّوء والظُّلمة. و«الجَون»: الأبيض والأَسْوَدُ. و«أَسَرَّ» تعني: كَتَمَ وأَظْهَرَ.

و«المَسجور»: المملوء والفارِغ. و«قَسَطَ»: عَدَلَ وظَلَمَ. و«المَفازة»: المَنجاةُ والمَهلَكة. وقد صُنِّفَت في الأضداد تصانيفُ مِثْلُ: *الأضداد* للأَصمعيّ (٧٤٠ – ٨٣١ م)؛ *والأضداد* لابن الانباريّ (٨٥٥ – ٩٤٠ م)؛ *والأضداد في كلام العرب* لأبي الطَّيِّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (المُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٥١ هـ).

ولكنَّ التَّضادَّ في كلمة واحدة ناشئٌ غالباً عن استخدام الكلمة الواحدة بمَعنَيَينِ مُتعاكِسَينِ في لهجتَينِ [لغتين] مُختلفَتَينِ. فـ«السَّامِد» في كلام أهل اليمن هو «اللاهي» وفي كلام طَيِّءٍ «الحزين» (*الأضداد*، الأنباري). و«وَراءَ» [سورة الكهف، ٧٩] تعني: «أَمامَ» بالنبطية. و«شَرَوا» تَعني: «باعوا» في لغة هذيل. و«وَثَبَ» [نَهَضَ] تَعني: «قَعَدَ» في لغة حِمْيَرَ. (*الإتقان في علوم القُرآن*، النوع ٣٧ ["فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز"] والنوع ٣٨ ["فيما وقعَ فيه بغير لغة العرب"]، جلال الدين السيوطي).

وقد نَرى هذا التَّضادَّ في اللهجات الحديثة. فالفِعل «بَلَّشْ» يعني: «بَدَأَ» في لهجة بلاد الشام و«تَرَكَ» في السودان. وكلمة «مهضوم» تعني: «لطيف» في سوريَّةَ ولُبنانَ [رُبَّما هي تصحيف لكلمة «الهَضيم»: اللطيف اللَّيِّن] ولكنها تعني في العراق: «حزين ومتكدِّر المِزاج» [رُبَّما من «مَهضوم الحَقّ»، أيْ مظلوم]؛ وقد ذُكِرَت كلمة «مهضوم» بمعنى «حَزين» في قول الثُّماليّ: «فأَصبَحتُ مَهضوماً حَزيناً لِفَقْدِهِ * وهلْ مِن نَكيرٍ بَعدَ حَولَينِ تَلْتَمِسْ» (*الأغاني*، ج ١٠). و«الحَلَوِيَّات»: السُّكَّرِيَّاتُ (في الشام) والطعامُ المَصنوع من كِرشِ وأَمعاءِ الذبيحة (في مصر).

أمَّا استخراج المعنى ونقيضِه من الجذر الثُّلاثيّ بإبدال حروفِه فهو افتراض قد يصلح على بعض الجذور عَرَضاً [مصادفةً].

يمكن طرح الملاحظات التالية على هذه الفرضية:

1 - تفسير التركيب الثاني المستخرَج من جذر ثلاثي (بتغيير ترتيب حروفه) على أنه نقيض هذا الجذر هو تأويل أكثر منه تفسير دلالي معجمي. فعندما نقول إن «سَبَح»

نقيضُ «سَحَبَ»، و«نَهَرَ» نقيضُ «رَهَنَ»، و«سَرَحَ» نقيضُ «حَرَسَ»، و«مَلَكَ» عكسُ «لَكَمَ»، وحتَّى ولو بمعنى فيزيائي بحت، فإننا بذلك نلوي عُنُقَ معنى الجذر.

2 - تبدو هذه الفرضية أقرب إلى الرأي الشخصي منها إلى الفرضية العلمية، بمعنى أنها لم تستند إلى بحوث لسانية قبلها وأنها ليست استمراريةً لما وضعه أهلُ العربية من علماء اللغة. وقد تطرّقَ النحويون الأوائلُ إلى تراكيب الثلاثي ولم يذكروا هذه الفرضية (فرضية استخراج المعنى ونقيضِه من الجذر الثلاثي بتغيير ترتيب الأحرف). ولكنَّ إمامَ العربيَّة ابنَ جِنِّي (٩٢٠ أو ٩٤١ – ١٠٠٢ م)، تِلميذَ أبي عليٍّ الفارسيّ (٩٠٠ – ٩٨٧ م)، ذَكَرَ في *الخصائص* (ج ١، «باب الاشتقاق الأكبر») فكرةً قريبةً، وهي "الاشتقاق الأكبر" [أو "الاشتقاق الكبير"] الّذي يقوم على افتراض وجود معنى جامع لجميع تراكيب [تَقاليب] الثُّلاثيّ الستَّة. فابن جِنِّي يَرى، مَثلاً، أنَّ التراكيبَ: «س.م.ل»، وَ«م.س.ل»، وَ«س.ل.م»، وَ"م.ل.س"، وَ«ل.س.م» وَ«ل.م.س» لها مَعنىً جامعٌ مُشتمِل عليها وهو "الإصحابُ والمُلايَنة" (ومِنْ هذه التراكيبِ: ١–الثوبُ "السَّمَلُ"، وهو الخَلَق [البالي] [خَلُقَ الشَّيءُ: امْلاَسَّ ولانَ]، وذلك لأنَّه ليس عليه من الوَبَرِ والزِّئْبِر [زَغَبِ المنسوجاتِ أو ما يَظهَر من دَرَزِ الثَّوب] ما على الجديد، فالْيَدُ إذا مَرَّت عليها لِلَّمْسِ لَمْ يَستوقِفْها عنه حِدَّةُ المَنسجِ، ولا خُشْنةُ المَلْمَسِ؛ ٢–و"السَّمَل": الماء القليل، كأنه شيء قد أَخلقَ وضَعُفَ عن قُوَّة المضطرب؛ ٣–و"السَّلامة"، وذلك أنّ السليم ليس فيه عيبٌ تَقِفُ النَّفْسُ عليه، ولا يُعْتَرَضُ عليها به؛ ٤–و"المَسَلُ" و"المَسيلُ" كُلُّه واحد، وذلك أن الماء لا يجري إلاَّ في مَذْهَبٍ له؛ ٥–و"الأَمْلَس" و"المَلْساء"، وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه؛ ٦–و"اللَّمْس"، وذلك أنه إنْ عارَضَ اليَدَ شَيءٌ حائلٌ بينها وبين الملموسِ لم يَصِحَّ هناك لَمْسٌ... وأمَّا التَّركيبُ "**ل.س.م**" فمُهْمَلٌ، ولكنَّهم استخدَموا "**ن.س.م**" [و**النون** أخت **اللام**] فقالوا: "نَسَمَت الرِّيحُ"، إذا مَرَّت مرًّا سهلاً ضعيفًا.). هذه الفكرةُ [المُتمثِّلة في "الاشتقاق الأكبر"] قد بَدَت مُتَكَلَّفةً وانتقدَها السيوطيُّ (١٤٤٥ م – ١٥٠٥ م) في *المُزْهِر في علومِ اللُّغة وأنواعِها* (ج١). وقد فَطِنَ أبو علي الفارسي (المُتوَفَّى سَنَةَ ٣٧٧ هـ) أستاذُ ابن

جِنِّي إلى "الاشتقاق الأكبر" [فكرة افتراض وجود خيط دَلاليّ جامِع لتراكيب الثُّلاثيّ الستَّة]. ولكنَّ النُّحاةَ أهملوه فيما بعدُ.

3 - حتى لو كان الاستنتاج صحيحاً في الأمثلة الّتي قدّمها الأستاذ نَيُّوف فإن فرضية التضاد هذه (الثلاثي ونقيضه منه) لا يمكن أن نعمِّمَها على كل أفعال العربية. فهناك جذور لا يمكن استخراجُ نَقيضٍ منها. فالثُّلاثي «خَدَعَ» يمكن استخراج التراكيب التالية منه: «دَخَعَ» و«خَعَدَ» و«دَعَخَ» و«عَخَدَ» و«عَدَخَ»، وكلها مُهمَلة غير مستخدمة، ولا يمكن الافتراض أن أحدها كان مستخدماً، وبالتالي لا يضم الفعلُ «خَدَعَ» في تراكيبه على نقيضه. وكذلك تراكيب الفعل «خَضَعَ» مهملة كلها: «خعض» و«ضخع» و«ضعخ» و«عضخ» و«عخض». وكذلك الأفعال الثُّلاثية الصحيحة «خَجِلَ» و«فَرِحَ» و«حَزِنَ» و«جَعَلَ» و«دَمَعَ»، لا يمكن استخراج نقيضها من تغيير ترتيب حروفها. كما أنَّ هذه الفَرضيةَ لا تَصلُحُ في الأفعال الثلاثية المعتلَّة (مثل: «باء» و«شاءَ» و«كان» و«قال» و«عَادَ» [«عَوَدَ»]، إلخ.). فتراكيبُ الجذرِ «عَوَدَ» [«عَادَ»] هي: «وَدَع» و«وَعَدَ» و«دَعَوَ» و«عَدَوَ» و«دَوَعَ» وإذا قلنا إنَّ «عَوَد» نقيضُ «وَدَعَ» (أيْ أنَّ "العَود" نقيض "الوداع") فإنَّ في ذلك تأويلاً ولَـيّاً لِـمعنى الجذرَين؛ لأنَّ النواة الدلالية للفعل "عاد" هي التَّكرار بينما النواة الدلالية للفعل "وَدَعَ" هي التَّرْك. و"التَّكرارُ" ليس نقيضَ "التَّركِ". ولا تَصلُحُ هذه الفرضيةُ أيضاً في الجذور الصمَّاء [المُضَعَّفة] (كَـ«بَدَدَ» و«مَرَرَ»).

4 - نحن لا نعرف اللغةَ البَدئيةَ الأُمَّ للعربية لكي نُقرِّرَ هل العربُ استخدمت الجذور الثلاثية بناءً على تبديل ترتيب الأحرف (القلب المكاني، نوع من الإعلال) أَمْ أنَّ كلَّ جَذرٍ كان امتداداً لأصل سابق. فالعربُ ربَّما لم تُفاضِلْ بطريقة واعية بين التراكيب [التقاليب] (combinatoires): «جعل – جلع – عِلج – لجع – لعج – عِجل» فتختار «جعل – عجل – علج» وتهمل الباقي. وربما تكون قد أهملَت «لجع» و«لعج» و«جلع» لأنه ليس لها أصول في اللغة البدئية ولَم تُستخدَمْ أساساً في اللغة الأم للعربية.

5 - يُـفْـهَـمُ من هذه الفرضية التي تقول باحتواء تراكيب الثلاثي على المعنى ونقيضه أنَّ لِـكُـلِّ حَرفٍ معنىً. وهذا غير صحيح، لأنه يعني أنَّ المعنى والصوتَ مترابطان، بينما العلاقة بينهما اعتباطيّة، كما يقول فرديناند دي سوسير [Ferdinand de Saussure] (١٨٥٧ – ١٩١٣).

6 - القول بأن تراكيب الثُّلاثي تحتوي على المعنى ونقيضه يعني أن العربية الفصحى هي لغة متجانسة. ولكنَّ العربيَّة [اللغة الرَّسمية الّتي وضعها النُّحاةُ] هي في الحقيقة توليفة [تركيبة أو خَلْطة] من عدة لغات [لهجات] عربية، بلْ هي صناعةٌ وليست سليقةً. وليست أيضاً لُغةَ قُرَيش، كما يُشاع. وقد أوضح كثيرٌ من اللغويين الـمُحْدَثِينَ كيف أن العربية الفصحى هي صناعة اللُّغَويين انطلاقاً من توليف [جمع] عدة لهجات عربية ثُمَّ أضافوا إليها حركاتِ الإعراب، ومن هؤلاء اللُّغَويينَ: "كارل فولَّرس" [Karl Vollers] (١٨٥٧ – ١٩٠٩)، ورائد الدراسات اللغوية الباحث المصري "إبراهيم أنيس" (١٩٠٦ – ١٩٧٧ م)، و"جورجين أيُّوب"، و"جوناثان أوينز" [Jonathan Owens]، و"يان ريتسو" [Jan Retsö]، و"پـيـيـر لارشيه" [Pierre Larcher]، و"جوليانو لانسيوني" [Giuliano Lancioni]، و"مانويل سارتوري" [Manuel Sartori]. بل إنَّ الـمُؤَسِّسَ الفِعليَّ للعربيَّة أبا عمرٍو بن العلاء البَصريّ (٦٨٩ – ٧٧٠ / ٧٧٤ م) أشار إلى عملية التوليف والانتقاء هذه عندما سُئِلَ: "أَخبِرني عَـمَّا وَضَـعْـتَ مِـمَّا سَـمَّيتَ «*عربية*»، أَيَدخُلُ فيه كلامُ العربِ كلُّه؟ فقال: "لا". فقيلَ: "كيف تصنع فيما خالفَـتْـكَ فيه العربُ وهُمْ حُجَّة؟" قال: "أَحمِلُ على الأكثرِ وأسمّي ما خالَفني «*لُغاتٍ*»".

7 - الانتقال بين التراكيب الثلاثية قد يكون بسبب اختلاف اللغات [اللهجات]. فالجذرانِ «يَـئِـسَ» و«أَيِسَ» لهما معنىً واحدٌ، وكلُّ جذرٍ منهما استُخدِمَ في لهجة من لهجات العرب. وكذلك «ناء» و«نأى» بمعنى واحد في لهجتين مختلفتَين. وبالتالي فالجذران «يَـئـس» و«ناء» ليس لهما تضادٌّ من أحرفِهما.

8 - يمكن أنْ نَفهمَ من كِتاب *الـمُزهِر* للسيوطي (وهو كِتاب جمَعَه من عدة كُتُب نحوية) أن العرب كانت تنتقي التراكيبَ الأسلسَ نطقاً من بين تراكيب الثلاثي

الستّة الممكنة. فمعيار الانتقاء صوتيٌّ (هو السلاسة) وليس دلالياً (كـ"التضاد بين الجذور"). فلو أخذنا الجذرَ «دال عين ميم» (د. ع. م.) فإنَّ تراكيبه الممكنة هي: [١]–(عَـدَم)، [٢]–(دَمَـع)، [٣]–(عَـمَـد)، [٤]–(دَعَـم)، [٥]–(مَـعَـد)، [٦]–(مَـدَع). ولكنَّ التراكيب منه الأكثر فصاحة واستعمالاً هي (بحسب ترتيب الحروف من الأثقل إلى الأخفِّ: ظ – ذ – ث – ش – ق – خ – ع – ن – ل – ر – ب – م):

1) **الأوّل فصاحةً**: ما انْحُدِرَ فيه من المَخرَج **الأعلى** إلى **الأوسط** إلى **الأدنى** (عـدم)؛

2) **الثاني فصاحةً**: ما انْتُقِلَ فيه من **الأوسط** إلى **الأدنى** إلى **الأعلى** (دمع)؛

3) **الثالث فصاحةً**: ما انْتُقِلَ فيه من **الأعلى** إلى **الأدنى** إلى **الأوسط** (عمد)؛

4) **الرابع فصاحةً**: الانتقال من **الأوسط** إلى **الأعلى** إلى **الأدنى** (دعم)؛

و**أقلُّ التراكيب فصاحةً واستعمالاً**: ما انتُقِلَ فيه من **الأدنى** إلى **الأعلى** إلى **الأوسط** (معد). في حين أن التركيب الذي يُـنْـتَـقَـلُ فيه من **الأدنى** إلى **الأوسط** إلى **الأعلى** (مدع) مهمَل لأنه واحد من التراكيب الأقل فصاحة ولعدم الحاجة إليه. ولو نظرنا في دلالات التراكيب الخمسة المستعملة ("عَـدَم" [الافتقار]، "دَمَـع" [السيلان]، "عَـمَـد" [القصد أو اللزوم]، "دَعَـم" [العَون أو المساندة]، "مَـعَـد" [إصابة المَعِدة]) لما وجدنا تركيبَين متناقضين لا فيزيائياً ولا مجازياً. ولكنْ إذا سلَّمَ ذهنُنا بصحة فرضية التضاد الجذري (احتواء الثلاثي على نقيضه) فإنه، من باب الانحياز التأكيدي (biais de confirmation)، قد يرى أنَّ الثُّلاثيّ «عَـدَم» [الذي يشير إلى الافتقار]، والثُّلاثيّ «دَعَـم» [الذي يشير إلى العَون] متناقضَين.

قد يكمن "إعجاز" العربية، إنْ كان لديها "إعجاز"، بل بالأحرى "مِيْزة" العربية في اختيار كلمة ثلاثية كأصل لمفرداتها وليست رُباعية أو أكثر. **هذا الاختيار للأصل الثُّلاثي جَرَى على أساس صوتي فيزيائي بحت. فلِماذا اختارَت العربُ أصلاً ثُلاثيًا؟** الأصول: ثُلاثي ورُباعي

وخُماسي. أكثرُها استعمالاً الثلاثي ["فَـعَـلَ"] لِـخِـفَّـتِه وقِلَّة تراكيبه [ستَّة]، ففيه حَرفٌ للابتداء وحَرفٌ للحشو وحَرفٌ للوقف عليه. فلا يُـبْـدأُ إلاَّ بِـمُتحرِّك [فاء الكَلمة] ولا يُوْقَف إلاَّ على ساكِن [لام الكلمة]، فوَجَبَ توسُّطُ عَينِ الكلمةِ حاجِزاً بين مُتنافرَينِ حتَّى لا يَـتَوَقَّـفَ فجأةً.

١-	فَـ [فُـ/فـِ]	حرَكة انطلاق		أَخضر
٢-	عَـ [عُـ/عـِ/عـْ]	حركة تخفيف للوصول إلى الوُقوف		بُرتُقاليّ
٣-	ـلْ	وُقوف [سُكون]		أَحمر

ولذلك **فالثلاثي [وتراكيبه الستَّة] أَخَفُّ من الثنائي والرباعي والخماسي**. [وتراكيب الثلاثي الستة هي: جعل – جلع – علج – لجع – لعج – عجل.] أمّا **تراكيب الرباعي فهي أربعة وعشرون اُستُعمِلَ منها الأقلُّ** النزر [عَقرَب – بُرقُع – عَبقَر – عَرقَبَ]. **وتراكيب الخماسي أكثر وأثقل**. ولذلك قلَّ الخماسيُّ أصلاً لإفراط طوله. فمثلاً استُخدِمَ تركيبُ "سفرجل" من أصل مِئةٍ وعشرين تركيبًا لأحرُفِه.

ولكنَّ **تَصَرُّفَهم بالرُّباعيِّ أكثرُ بقليلٍ من الخُماسي** (لقُربِ الرباعي من الثلاثي) **وأقلُّ من الثلاثي**. وأحيانًا **شبَّهوا الثُّلاثيَّ بالرُّباعيِّ فأَهمَلوا بعضَ تراكيبِ الثلاثي ليس بسبب الثقل**، كإِهمالِهم "لَـجع" [مع أنهم استخدموا "نَـجع" و"رجع"، و**اللامُ** أُختُ **النون** و**الراء**]. **فالـمُهمَل من الثلاثي لغير الثقل** [لغير قُبح التأليف] **سببُه أنهم شبَّهوه بالرُّباعي**، أيْ أنَّ علاقته بالرباعي كعلاقة الرباعي بالخماسي. **وعندما تصرَّفوا بالخماسي فلأنهم شبَّهوه بالرباعي**، أيْ أنهم رأوا أنَّ علاقته بالرباعي كعلاقة الرباعي بالثلاثي. ومِن عادةِ العرب أنهم إذا أعطَوا حُكمًا لشيء أعطوا هذا الحُكم للمأخوذ منه.

كيف اختارت العرب الجذور الثلاثية؟ إذا أهمل العرب ثلاثيًا فلأنهم حَمَلوه على حُكم الرباعي. ولكنْ لماذا استعملَت العربُ بعضَ الأصول دون بعضٍ؟ لأنَّ واضِعَ اللغةِ قاربَ اللغةَ مِن منظور كُلاَّنيٍّ [approche holistique] (« هَجَمَ بفِكرِه على جميعِها »، بحسب تعبير السيوطي في *المُزهِر*). فرَفَضَ أولاً ما شَـنُـعَ تأليفُه [هع / قخ / كق]. ثم عرفَ واضعُ اللغة أنَّ الكلمة الطويلة لا تمتلك مرونةَ التصرُّفِ التي يمتلكها الأصل الثلاثي. ثمَّ رأى واضعُ اللغةِ أنَّ مرونةَ الأصل الثلاثي غير تامة، فـرَغمَ قابلية الأصل الثلاثي للتصرُّف فإنَّ هناك عائقًا يمنع التصرُّفَ التامَّ به وهو أنَّ الانتقال من أصلٍ إلى أصل يُشبِه الإعلالَ [تغيير صرفي في حرف العلَّة بالقلب أو الحذف أو الإسكان] (مثل: "اضْمَحَلَّ" / "امْضَحَلَّ" – و"صَبَرَ" / "بَصَرَ" – و"ضَرَبَ" / "رَبَضَ" – و"قِسِيٌّ" [ج. "قَوس"][1] – و"أَيْنُق" [ج. "ناقة"][2] فامتنعوا عن استخدامِ جميعِ احتمالات تراكيب الثُّلاثي.

وبالتالي، تبدو هذه الفرضيةُ (فرضية التضاد الجذري، أيْ: اشتقاقُ نقيضِ الثُّلاثي من حروفه بتغيير ترتيبها) ضعيفةً لشدّة ضبابيتها وذاتيّتها وعدم ضَبْـطِـها أو إحكامِها موضوعياً. فالعرب لَم تَستخدِمْ جميعَ تراكيب الثلاثي لأنهم شبّهوه بالرباعي « حَذَوهُ حَذْوَ الرُّباعيّ » (كما يقول السيوطي في *المُزهِر*)، ولأنه غير تام المرونة فهناك تراكيب ثلاثية ثقيلة (كَـ « عَخَض »). وبالتالي فإن معيار العرب لاختيار تراكيب الثلاثي هو معيار صوتي أكثر منه دلالي. وهذا المعيار الصوتي قد يجعل بعض التراكيب متناقضة ولكن ليس كلها.

---

[1] "القِسِيٌّ" [الأقواس] جمعُ "قَوْس"؛ وفيها إعلالٌ لأنَّه إذا جمَعنا وزنُ "فَعْـل" على "فُعُول" [كَـ" قَلْب–قُلُوب" و"بَحر–بُحُور" و"وَعد–وُعُود" و"وَعل–وُعُول" و"كَعب–كُعُوب" و"صَرح–صُرُوح" و"جَمْع–جُمُوع"] فسيكون **جمعُ "قَوْس": "قُوُوْس" >>> "قُـسُـوُوْ" >>> "قِـسِـيٌّ" [حيثُ قُلِبَتْ الواوانِ ياءين لوقوع الواوين المذكورين في الطرف في الجمع]**.

[2] "الأَيْنُق" [النُّوق/النِّياق/النَّاق] جمعُ "ناقة". وفيها إعلال وإبدال، لأنَّه إذا جمعنا "**فَـعْـلَة**" [أو "**فَـعَـلَة**"] على "أَفْـعُـل" فسيكون **جمعُ "ناقة": "أَنْـوُق"، وتصبح "أَوْنُق"، ثمَّ "أَيْـنُـق" بالإعلال والقلب المكاني**. (ملاحظة: أيُّ اسمٍ ثلاثي ليست عينه حرف علة وهو على وزنِ "فَعْل" فإن جمعه على "أَفْعُل" [كَـ: "فَلْس–أَفْلُس" و"شَهْر–أَشْهُر" و"نَفْس–أَنْفُس" و"وَجْه–أَوْجُه" و"حَرف–أَحرُف"]. وكذلك تأتي صيغةُ "أَفعُل" جمعًا للرباعي إذا كان اسمًا لمؤنَّث قبل آخرِه مَدَّة كـ"العَناق" [وَلَد المِعز] و"الذِّراع" فتقول: "أَعنُق"، و"أَذْرُع".)

وقد أشار الأستاذ نزار نيوف في ردّ على هذا المقال أنَّ الموضوع قابلٌ للنقاش وأنَّ الغرضَ من مقاله هو إثباتُ أنَّ اللغةَ "مُعطىً فيزيائيٌّ مُرتبطٌ بالحركة"، أيْ مُعطىً ماديٌّ وليسَ غيبياً، والردُّ – ضِمناً – على من يربط اللغة بعالَم الغَيب.

وذَكَرَ نَيّوف أنَّ مقالَه امتداد لنقاشاتِ المعتزلة التي قضى عليها فقهاءُ اللغة الإسلاميون الأصوليون من خلال "الزعبرة" القرآنية المعروفة (المنبثقة من الآية: "وعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها" [البقرة، ٣١]) التي اعتبروها برهاناً على أن اللغة "وحي إلهي" [يَقصِد أنهم اعتبروا اللغةَ تَوقيفاً [وحياً] لا اصطلاحاً]. وأوضحَ نَيُّوفٌ أنَّ صاحب هذه "النظرية" [يَقصِد "الفَرضية"] هو عالم اللسانيات السوري جعفر دك الباب (١٩٣٧ – ١٩٩٩)، الذي اتُّهِمَ بالشيوعية فقط لأنه نَشَرَ بحثاً عن "مادية اللغة" قالَ فيه إنَّ كُلَّ فِعلٍ ثُلاثي يحمل نقيضَه في ذاته.

ولكنَّ اللغوي الفرنسي مانويل سارتوري (الأُستاذ في جامعة آيكس–مرسيليا) يميل إلى الاعتقاد بأنَّ مثل هذه الافتراضات (كافتراض اشتقاق المعنى ونقيضه من كلّ فعل ثُلاثيّ عربي) قد تكون ناتجة عن اعتبارِ "العربية" لُغةً فريدةً ومُميَّزةً عن غيرِها وبأن مثل هذا الاعتبار قد يكون أحدَ انعكاسات "الوحي" [أيْ اعتبار اللغة "تَوقيفاً"، أيْ أحد انعكاسات الآية "وعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها"].

آيكس–أون–پروڤانس، ٢٦ شباط/فبراير ٢٠٢٠

المراجع:

1. السيوطي، *المُزهِر*، ج. ١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٥.
2. ابن جِنّي، *الخصائص*، الجزء الأول، "باب ذكر علل العربية أكلامية هي أَمْ فقهية"، نسخة رقمية (موقع: https://www.kutubpdfbook.com).

تعليق لاحق:

أول من قال بهذه الفرضية (احتواء الجذر على نقيضه [ضد كل شيء قائم فيه]) هو محمد عنبر (١٩٢١ – ١٩٩٨) في كتابه «*جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة*» (دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧).

إنَّ جهود محمد عنبر (١٩٢١ – ١٩٩٨) في كتابه «*جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة*» (دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧) (الذي عرضَ فيه فرضية احتواء الجذر على نقيضه ["ضِدُّ كلِّ شيءٍ قائمٌ فيه"]) تبدو محاولَةً لتطبيق منهج التوفيقية (concordisme) التأويلي على اللغة العربية، هذا المنهج المستخدَم في تفسير الكُتُب المقدَّسة لإزالة التعارض بينها وبين العِلم أو لردم الهوَّة بينها وبين العِلم. فكتاب "جدلية الحرف العربي" يمكن أن يندرج ضمن التيّار التوفيقي (concordiste) الذي بدأ على ما يبدو مع المسيحية في حوالي العام ١٨٩٣. ولا أدري إن كان يمكننا اعتبار جهود جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ – ١٨٩٧) الإصلاحية كإرهاصات توفيقية أدَّت إلى ولادة مهزلة الإعجاز العلمي في القرآن وحتى في الحديث، والتي بلغَت ذروتَها في سنوات الثمانينات [سنة نشر كتاب محمد عنبر هي ١٩٨٧] والتي يمثلها مهرِّجون من أمثال: زغلول النجار، وعبد المجيد الزنداني، ورشاد خليفة، والبهائيين، وعبد الدائم الكحيل، وعلي منصور كيالي مكتشف نظرية "ضراط الجن والدفع النفَّاث"...